شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦-٨٤٥هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الدَرْسِ (١٤)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسوله جاءنا بالنور المبين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أما بَعْد؛

فمعاشر الفضلاء؛ نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسر لنا الصلاة في مسجد نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يسر لنا مجلس علم في مسجده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جاء إلىٰ مسجد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان موعودًا بأن يؤوب من مجلسه بأجر المجاهد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ وأجر الحاج الذي قد تم حجه، مع ما أعده الله عَزَّ وَجَلَّ لمن طلب العلم من فضل وفضيلة، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُؤتينا جميعًا ما أعد لمن جلس مثل مجلسنا هٰذَا، وأن يزيدنا من فضله أضعاف أضعاف.

معاشر الأحبة؛ إن المؤمن يحب توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويبغض الشِّرْك، ويحب المجالسة التي يُقرر فيها التوحيد، ويُحذر فيها من الشِّرْك. ودرسنا هذا من هذا الباب، حيث نشرح كتاب (تجريد التوحيد المفيد) للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ثم المصري الشَّافِعِيّ، المتوفى سنة ٨٤٥ من هجرة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد سبق أن شرحنا بعض ما أورده هذا الإمام الناصح رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المُسْلِمِيْنَ، ونواصل قراءة ما سطره ونعلق عليه.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ العلامة المقريزي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه تجريد التوحيد المفيد:

(المتن)

ومن الشرك بالله – تَعَالَىٰ – المباين لقوله تَعَالَىٰ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} الشرك به في اللفظ

(الشرح)

تقدم معنا معاشر الفضلاء أن الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ قد يكون في الأفعال، وقد يكون في الأقوال، وقد يكون في الاعتقادات والإرادات وَالنِّيَّات، وقد يكون بِالشَّكّ، وذلك أن الشرك يقابل التوحيد، والتوحيد فعل وقول واعتقاد بيقين، والشرك يقابله، فما قابل واحدة من هذه فإنه يكون من الشِّرْك. فمن الشرك بالله تَعَالَىٰ المباين لقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي المقابل للتوحيد بقسميه، أعني الشرك الأكبر والأصغر. فالأكبر يباين التوحيد، ويباين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من أصله. والأصغر يباين التوحيد، ويباين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من جهة تحقيق التوحيد الواجب.

(المتن)

(من الشرك بالله – تعالىٰ – المباين لقوله تعالىٰ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره)

(الشرح)

هنا يذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ أمثلة للشرك بالأقوال، أي الشرك بالألفاظ، وأذكر لكم ضابطًا في هذا الباب، وهو أنه إن جرىٰ اللفظ الشركي علىٰ اللسان من دون اعتقاد ما فيه فهذا شرك أصغر، وإن جرىٰ اللفظ الشركي علىٰ اللسان مع اعتقاد ما فيه فهذا شرك أكبر. هذا الضابط متىٰ يكون اللفظ الشركي شركًا أصغر ومتىٰ يكون شركًا أكبر؟ إن جرىٰ به اللسان من غير اعتقاد ما فيه فإنه شرك أصغر، وإن جرىٰ به اللسان مع اعتقاد ما فيه فإنه شرك أكبر.

يعني لو قال إنسان: وحياة أولادي كذا؛ هذا لفظ شركي، فإن جرىٰ علىٰ لسان الإنسان من دون اعتقاد ما فيه فهذا شرك أصغر، أما إذا اعتقد أن حياة أولاده معظمة كتعظيم الله أو أشد من تعظيم الله فهذا شرك أكبر. قَالَ: والكعبة!؛ إن جرىٰ هذا علىٰ لسانه حلفًا من غير اعتقاد ما فيه فهذا شرك أصغر، أما إذا اعتقد أن تعظيم الكعبة كتعظيم الله أو أشد من تعظيم الله فهذا شرك أكبر. إذا قَالَ: وَالنَّبِيّ! إذا كان هذا حلفًا مجردًا جرىٰ علىٰ اللسان فهذا شرك أصغر، أما إذا اعتقد أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعظم كتعظيم الله أو أشد من تعظيم الله فهذا شرك أكبر. وهكذا في الألفاظ الشركية. هذا الضابط العام.

والحلف بغير الله كأن يقول الرجل: وأبي! وحياة أبي! وحياة أمي! ورأس أبي! ورأس أمي! وحياة أولادي! وبالأمانة! والأمانة! وَالنَّبِيّ! وجبريل! والكعبة! هذا شرك بالله، ومن اتخاذ ندٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد يكون من الشرك الأكبر إذا كان تعظيم المخلوق الذي يُحلف به عند الحالف كتعظيم الله أو أشد من تعظيم الله. أو إذا كان خوف السر من المخلوق كالخوف من الله أو أعظم من الخوف من الله فهذا شرك أكبر. فبعض الناس يحلف بالمخلوق لأنه يعظمه كتعظيم الله، بل قد يعظمه أشد من تعظيم الله، فبعض الناس يحلف بشيخه أو يحلف بالولي لأنه يعظم الولي كتعظيم الله أو أشد من تعظيم الله. وبعض الناس إذا طُلب منه أن يحلف علىٰ شيء إن طُلب منه أن يحلف بالله وهو يعلم أنه كاذب حلف، أما إذا طُلب منه أن يحلف بالشيخ أو الولي ينكس ولا يحلف، لأنه يخاف من هذا الشيخ أو هذا الذي يسمىٰ بالولي خوف السر أعظم من خوفه من الله.

حتىٰ يذكر بعض الناس من القضاة في بعض البلدان أنه في القضايا إذا طُلب من الشخص أن يحلف بالله يبادر إلىٰ الحلف، أما إذا طُلب من أن يحلف بشيخه أو الولي الذي يعظمه ما يحلف إذا كان كاذبًا. وذكر بعض الشيوخ أن رجلًا طُلب منه أن يحلف علىٰ شيء بالله، وقد كان كاذبًا، فحلف بالله، فطُلب منه أن يحلف بالولي فحلف بالولي، لكن القضية أن صاحبه بعد ذلك لامه، قَالَ: كيف تحلف بالولي وأنت كاذب وأنت تعلم أنه يعلم أنك كاذب، ما أوقفه أنه حلف بالله كاذبًا، وإنما أنه حلف بالولي كاذبًا، لا شك أن هذا المقام شرك أكبر مباين للتوحيد بالكلية، ناقل عن الملة، مخرج من الإسلام بالكلية. وقد نص فقهاء المذاهب الأربعة علىٰ أن من حلف بغير الله معظمًا لغير الله تعظيم الله أو أشد أن هذا شرك أكبر. أما إذا كان مجرد حلف فَهٰذَا شرك أصغر.

إذن قد يكون الحلف بغير الله شركًا أصغر إذا كان مجرد حلف، من غير اعتقاد ما فيه، فيكون شركًا أصغر.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" صحّحه الحاكم وابن حبّان.

(الشرح)

روىٰ أبو داوود رَحِمَهُ اللهُ عن بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سمع رجلًا يحلف: لا والكعبة! لا والكعبة! الحظوا يا إخوة أن الكعبة بيت الله، وأن الكعبة لها حرمة عظيمة عند الله وعند المُؤْمِنِيْنَ، وأنها مشرفة معظمة. فهذا الرجل يقول: لا والكعبة! فقال له ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (إني سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من حَلَف بغَيرِ اللهِ فقد أشرَكَ»). ومثله -يعني بنفس اللَّفْظ- عند ابن حبان: «من حَلَف بغَيرِ اللهِ فقد أشرَكَ»، ورواه الإمام أحمد، وعنده: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كَفَرَ وأَشْرَكَ» عند الإمام أحمد روىٰ القصة، وفيه أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، يعني أن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إني سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كَفَرَ وأَشْرَكَ»). ورواه الترمذي وعنده: «مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ أو أَشْرَكَ»، ومثله عند الحاكم. وهذا الشك هو من أحد الرواة. ورواه الحاكم بلفظ: «مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كَفَرَ»، ووافقه الذهبي.

فهذا حديث عظيم، فيه أن من حلف بغير الله فقد أشرك، من حلف بغير الله فقد كفر، فسمىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحلف بغير الله شركًا وكفرًا، ومجرد هذه التسمية تجعل المؤمن الذي يخاف الله يحذر حذرًا شديدًا من أن يحلف بغير الله، حتىٰ لو مضىٰ من عمره سبعون عامًا وهو يحلف بالنبي، ويحلف بحياة أولاده، ثم سمع هذا الحديث يقشعر بدنه ويندم علىٰ ما مضىٰ ويقلع عن ذلك، ويؤوب إلىٰ الحق والهدىٰ، ويقلع عن الحلف بغير الله، ويحلف بالله. وقد قال العلماء إن علاج من تعود علىٰ الحلف بمخلوق أن يضع قبله: (ورب)، المتعود علىٰ أن يحلف بالنبي: وَالنَّبِيّ! وَالنَّبِيّ! وَالنَّبِيّ! يعود نفسه علىٰ أن يضع قبلها (رب)، فيقول: ورب النَّبِيّ! ورب النَّبِيّ! حتىٰ يترك هذا الأمر. المتعود أن يحلف بالكعبة يضع قبلها (ورب) فيقول: ورب الكعبة. الشاهد أن الأمر جد خطير، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حلفَ بالأمانةِ فليس منَّا» رواه أبو داوود وصححه الألباني. من حلف بالأمانة فليس علىٰ طريقتنا، وليس علىٰ نهجنا؛ لأنه قد أشرك، وهذا الشرك إذا كان مجرد حلف شرك أصغر. وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَحْلِفُوا بآبائِكُمْ، ومَن كانَ حالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ» رواه البُخَارِيّ في، فنهىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشِّرْك، وأمر بالحق. وإذا نُهينا

أن نحلف بأبنائنا فإنا منهيون عن أن نحلف بأي مخلوق؛ لأنه لا فرق بين الأب وبقية المخلوقات، ويدل لهذا أخر الحديث: «ومَن كانَ حالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ». إذًا لا تحلفوا بآبائكم، وهذا خرج مخرج الغالب؛ لأن الكفار كانوا يحلفون بالآباء، واستمر الناس يحلفون بهذا حتىٰ نُهوا عنه. واللفظ إذا خرج مخرج الغالب لا مفهوم مخالفة له، فليس هذا حصرًا في الحلف بالآباء، بل هو نهي عن الحلف بأي مخلوق، ويعضد هذا ويقويه ويدل عليه قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده: «ومَن كانَ حالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ».

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَحْلِفُوا بالطَّواغِي، ولا بآبائِكُمْ» رواه مسلم؛ لا تحلفوا بالطواغي، بالطواغيت، بالأصنام، ولا بآبائكم، فقرن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النهي بين الحلف بالطواغي والحلف بالآباء، فهذا نهي شديد عظيم. وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا مَن كانَ حالِفًا فلا يَحْلِفْ إلَّا باللهِ، وقالَ: لا تَحْلِفُوا بآبائِكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحلِفوا بآبائِكم ولا بأمهاتِكم ولا بالأندادِ ولا تحلفوا إلا باللهِ، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقونَ» رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني. (لا تحلفوا بآبائكم) نهي يقتضي التَّحْرِيْم، ولا بأمهاتكم، ثم (ولا بالأنداد) يعني لا بالأصنام، فقرن في النهي بين الحلف بالآباء والأمهات والحلف بالأنداد.

(ولا تحلفوا إلا بالله) فنهىٰ عن الحلف إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. (ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون). وقد عظم السلف هذا الشأن تعظيمًا شديدًا، وهو حقيق أن يُعظم، وذلك لأمرين:

الأمر الأَوَّلُ: أن الشرك الأصغر أعظم من الكبيرة من جنسه، أن الشركة الأصغر أعظم قبحًا من الكبيرة من جنسه. الآن الجنس جنس الحلف، الحلف بغير الله شرك أصغر، الحلف بالله كاذبًا كبيرة، الحلف بالله كاذبًا لاقتطاع حق امرئ مسلم يمين غموس تغمس صاحبها في النَّار، ومع ذلك فالحلف بغير الله أقبح من الحلف بالله كاذبًا، ولذلك قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لأن أحلفَ باللهِ كاذبًا أحبّ إليّ من أن أحلفَ بغيرِهِ صادقًا) مع قبح هذا فهو أحب إليه من أن يحلف بغيره صادقًا. رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة بإسناد في غاية الصحة، وصححه الألباني. فهذا الأمر الأول الذي يجعل هذا الأمر حقيقًا بأن يُعظم، وأن يحذر منه المؤمن حذرًا شديدًا.

الأمر الثَّانِي: أن أهل السنة متفقون علىٰ أن الكبيرة يوم القيامة تحت المشيئة، فإن شاء الله غفر لصاحبها وإن شاء عاقبه؛ هذا محل اتفاق بين أهل السنة وَالْجَمَاعَة. أما الشرك الأصغر -ومنه الحلف بغير الله- فقد اختلف أهل السنة والجماعة هل هو واقع تحت المشيئة يوم القيامة أو لا، وبعبارة أخرىٰ: هل يغفره الله أو لا؟ فذهب بعض أهل السنة والجماعة إلىٰ أن الشرك الأصغر لا يغفره الله، بل لا بد من أن يُعذَّب صاحبه، وليس تحت المشيئة، وإن كان هذا القول مرجوحًا لكن أهل السنة اختلفوا في المسألة بخلاف الكبيرة، ولذلك الشرك الأصغر حقيق بأن يحذر منه المسلم حذرًا شديدًا، لا سيما وأنه داخل عند السلف في النهي عن اتخاذ الأنداد، فإن السلف يدخلون الشرك الأصغر في اتخاذ الأنداد، وهذا شأن عظيم.

ومن أسف شديد أن كَثِيْرًا من المسلمين اليوم يتساهلون في الحلف بغير الله، فتجد علىٰ ألسنتهم الحلف بالنبي أو الحلف بحياة الأولاد أو الحلف بالعين، يقول: وعيوني أنه كذا! وهذا خلل عظيم، إما أن يخل بأصل التوحيد إذا رافقه اعتقاد، وإما أن يخل بالتوحيد الواجب إذا كان مجرد حلف. فالواجب علينا جميعًا أن نتقي الله، ومن كان متعودًا علىٰ الحلف بغير الله فالواجب عليه أن يتوب قبل أن يموت علىٰ هذا الشِّرْك، والواجب علىٰ من يسمعه أن ينهاه عن هذا المنكر العظيم.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

قال ابن حبّان: أخبرنا الحسن بن سفيان، قَالَ: حدثنا عبد الله بن عمر الجعفي، قَالَ: حدثنا عبد الرّحيم بن سليمان، عن الحسن بن عبيد الله النخعي، عن سعد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر - رضي الله عنهما، فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر - رضي الله عنهما -: " ويحك، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: "من حلف بغير الله فقد أشرك" ".

(الشرح)

وهذه الرواية صحيحة، رواها ابن حبان في الصحيح، وهي صحيحة. وكما قلنا هذا الرجل حلف بالكعبة، والكعبة مشرفة معظمة، بيت الله، حرمتها عند الله عظيمة، ومع ذلك يقول له ابن عمر: (ويحك) وهذه كلمة للزجر، (لا تفعل) يعني لا تحلف بالكعبة، (فإني سمعت رسول الله صَلَّىٰ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من حلف بغير الله فقد أشرك») انتبهوا يا إخوة هذا الحلف منهي عنه علىٰ كل حال، لكن إذا كان مجرد حلف فهو شرك أصغر، وإذا كان مع التعظيم وقصد ما فيه فهذا شرك أكبر. لماذا أقول هٰذَا؟ لأن بعض الناس إذا قلت له: يا أخي لا تحلف بغير الله! قَالَ: أنا ما أقصد، أنا ما أقصد. قلنا عن كنت إِنَّمَا تحلف فَقَطْ ولا تقصد فَهٰذَا شرك أصغر، وإذا كنت تقصد ما فيه فَهٰذِه مصيبة أعظم، فينبغي التنبه لهذا الأمر العظيم.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

ومن الإشراك قول القائل لأحد من النّاس: ما شاء الله وشئت.

(الشرح)

العبد له مشيئة، فيشاء الفعل ويشاء الترك، لكن مشيئة العبد تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وفي هذا المقام يا إخوة عندنا ثلاث درجات:

الدرجة الأولىٰ: أن يقول العبد: ما شاء الله وحده؛ وهذا الكمال الذي يُحث عليه.

الدرجة الثانية: أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، أو ما شاء الله ثم شاء فلان؛ وهذه جائزة؛ لأن (ثُمَّ) تقتضي الترتيب والتراخي، فتكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

الدرجة الثالثة: أن يقول: ما شاء الله وشئت؛ وهذا شرك؛ لأن الواو تقتضي التسوية والتشريك، فقد تكون شركًا أكبر إذا اعتقد قائلها بقلبه أن مشيئة المخلوق تساوي مشيئة الله، إذا اعتقد المخلوق القائل هذه الجملة أن مشيئة المخلوق تساوي مشيئة الله أو تغلب مشيئة الله فهذا شرك أكبر، وقد تكون شركًا أصغر إذا كان ذلك قولًا باللسان دون اعتقاد ما فيه، إذا كان ذلك باللسان دون اعتقاد التسوية بالقلب.

قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاء فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء اللهُ ثمَّ شاء فلانٌ». (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان) هٰذَا نهي. رواه أحمد وأبو داوود والنسائي في الكبرىٰ،

وصححه الألباني. فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ وحرم أن يقول المسلم: ما شاء الله وشاء فلان؛ وأجاز أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

كما ثبت عن النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: "أجعلتني لله ندًا؟، قل ما شاء الله وحده".

(الشرح)

جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رجلًا قال للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما شاء الله وشئت)، يعني جاء في بعض الروايات أن رجلًا راجع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمرٍ، ثم قَالَ: (ما شاء الله وشئت)، فقال له النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أجعلتني للهِ عدلًا بل ما شاء اللهُ وحدَهُ». (أجعلتني لله عدلًا) أي مساويًا، (بل ما شاء الله وحده). رواه أحمد والنسائي في الكبرىٰ، ورواه البُخَارِيّ في الأدب المفرد وفيه: «جعَلتَ للهِ ندًّا؟! ما شاءَ اللهُ وَحدَه» الرجل لما قال للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما شاء الله وشئت) قَالَ: «جعلت لله ندًا»، أنت بقولك هذا جعلت لله ندًا، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. «جعلت لله ندًا!؟ ما شاء الله وحده» هكذا عند البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني. وعند الطبراني في الكبير قَالَ: «جعلت لله ندًا!؟ بل ما شاء الله وحده». فانظر يا رعاك الله كيف أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حما جانب التوحيد، فنهاه عن الشرك ونقله إلىٰ الكمال؛ ما قال له: (بل قل: ما شاء الله ثم شِئت) هذا جائز، لكن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نقله إلىٰ ذلك، نقله إلىٰ الكمال حماية لجانب التوحيد؛ لأنه هنا قال للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما شاء الله وشِئت)، فدل هذا علىٰ أن قول القائل: (ما شاء الله وشئت) هو تسوية للمخلوق بالله في اللَّفْظ، فيكون شركًا أصغر، فإن اعتقد التسوية يكون شركًا أكبر.

وجاء أن يهوديًا قال للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنكم تشركون) يعني: إن من أصحابك من يشرك، ولا ما وقع هذا من النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة) إنكم تشركون بهذين الأمرين، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة؛

فأمرهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة)، وأن يقولوا: (ما شاء الله ثم شئت) رواه النسائي وصححه الألباني. هذا يهودي جاء ليتنقص المُسْلِمِيْنَ؛ لأن المسلمين يقولون إن اليهود يشركون، فجاء ليرد الأمر للمسلمين، جاء إلىٰ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة؛ فانظروا يا إخوة هذا يهودي عرف الشرك الأصغر، وأن الحلف بغير الله شرك، وأن قول (ما شاء الله وشئت) شرك، وكثير من المسلمين اليوم ما يعرفون هٰذَا؛ لغربة التوحيد، وقلة التوحيد، وعدم قيام علماء البلدان بالواجب عليهم، الواجب الحقيقي الذي يجب أن يقوموا به، أن يعلموا الناس التوحيد وأن ينهو الناس عن الشِّرْك. بل من أسف أنك تجد كَثِيْرًا من المسلمين ما يعرفون الشرك الأكبر، ويقعون في الشرك الأكبر، وهذا يهودي وقد عرف الشرك الأصغر، فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة)، وأن يقولوا: (ما شاء الله ثم شئت).

وروىٰ الإمام أحمد بإسناد صحيح: (أن حبرًا من الأحبار) يعني من أحبار اليهود، (أتىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يا محمَّدُ، نِعمَ القومُ أنتم، لولا أنَّكم تُشرِكونَ. فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبحانَ اللهِ! وما ذاك؟»). النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ» ليست تعجبًا، قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ» تنزيها، أنزه الله عن الشِّرْك. (قال: تقولون إذا حلفتُم والكعبةِ، فأمهل رسولُ اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئًا) يعني سكت قليلًا، (ثم قَالَ: «من حلف فلْيحلِفْ بربِّ الكعبةِ». ثُمَّ قَالَ الحبر: يا محمدُ نعمَ القومُ أنتم لولا أنكم تجعلون للهِ ندًّا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سبحان اللهِ وما ذاك؟) أنزه الله عن أن يُجعل له ند. (قال: تقولون ما شاء اللهُ وشئتَ، فأمهل رسولُ اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئًا ثم قَالَ: «من قال: ما شاء اللهُ فليفصل بينهما ثم شئتَ») يعني من قَالَ: ما شاء الله، وأراد أن يذكر مشيئة المخلوق فليفصل بينهما بـ(ثُمَّ)، فيقول: ثم شئت.

وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقولوا ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ» رواه أحمد بإسناد صحيح، وعند أحمد وابن ماجه: «قولوا: ما شاء الله ثم مُحَمَّد»، وصححه الألباني. انتبه! قلنا إن ذكر مشيئة المخلوق مع مشيئة الله علىٰ ثلاث درجات:

الدرجة الأولىٰ: أن يقال: ما شاء الله وحده؛ بدون ذكر المخلوق، وهذا الكمال.

الدرجة الثانية: أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان؛ وهذا جائز.

الدرجة الثالثة: أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان؛ وهذا شرك، قد يكون أصغر وقد يكون أكبر.

لكن اعلم رحمك الله أن هذه الدرجات الثلاث إنما هي في الحي في الأمر الذي له فيه مشيئة، أما الحي في الأمر الذي لا مشيئة له فيه فلا يُقال فيه إلا مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. يعني مثلًا ما يجوز أن تقول لحي: إِنْ شَاءَ اللهُ ثم شئت أن يرزقني ولدًا، أنت هنا جئت بـ (ثُمَّ)، لكن هذا ما يجوز، وشرك؛ لأن هذا الحي ليس له في ذلك مشيئة، ليس له في رزق الولد مشيئة، ما شاء الله ثم شئت أن يعني يرزقني الله كذا؛ هذا ما يجوز؛ لأن هذا شرك؛ لأن هذا الحي ليس له في هذا الأمر مشيئة. إذَا في الأمر الذي ليس للحي فيه مشيئة لا يجوز أن يقال له مشيئة، لا بـ (ثُمَّ) ولا بـ (و)، وإنما المشيئة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إِنْ شَاءَ اللهُ أن يرزقني ولدًا ما يجوز أن تقول: إِنْ شَاءَ اللهُ ثم شئت أن يرزقني ولدًا، أو إِنْ شَاءَ اللهُ ثم شئت أن يرزقني ولدًا. ولا يقال كذلك في حق الميت؛ لأن الميت لا مشيئة له، فإن الميت لا مشيئة له، فلا يجوز أن تقول: إِنْ شَاءَ اللهُ ثم شاء صاحب القبر؛ هذا شرك؛ لأن الميت ما له مشيئة، وإنما تقول: إِنْ شَاءَ اللهُ. إذن انتبهوا الدرجات الثلاث إنما هي في حق الحي في الأمر الذي له فيه مشيئة؛ حتىٰ لا تختلط الأمور.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

هذا مع أن الله – تعالىٰ – قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله تعالىٰ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}.

(الشرح)

فأثبت الله للعبد مشيئة، لكنها تحت مشيئة الله، ولذلك يجوز أن يُعطف علىٰ مشيئة الله مشيئة العبد بـ (ثُمَّ)؛ لأن للعبد مشيئة، لكن هذه المشيئة تحت مشيئة الله، ولذلك قلنا إنه ما يجوز استعمال هذا الأسلوب –العطف بـ ثم– مع الحي فيما لا مشيئة له فيه، ما يجوز أن تُسند إليه المشيئة، ولا مع الميت، ما يجوز أن تُسند له المشيئة بل هذا من الشِّرْك.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

فكيف بمن يقول: أنا متوكّل علىٰ الله وعليك

(الشرح)

كيف بمن يقول: أنا متوكل علىٰ الله وعليك؛ التوكل الذي هو تفويض القلب، واعتماد القلب، عبادة قلبية لا تكون إلا لله، ما يجوز أن يقال فيها: توكلت علىٰ الله وعليك، ولا يجوز اتفاقًا أن يقال فيها: توكلت علىٰ الله ثم عليك؛ وإنما يقال: توكلت علىٰ الله، ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، لكن إذا كان الإنسان يريد بالتوكل علىٰ الله تفويض القلب وبالتوكل علىٰ المخلوق الاعتماد الظاهر علىٰ أنه سبب، فلا شك أنه لا يجوز أن يقول: توكلت علىٰ الله وعليك؛ لأن الواو تقتضي التسوية. لكن هل يجوز أن يقول: توكلت علىٰ الله -بقلبي يعني- ثم عليك -أي بالظاهر، بأن جعلتك سببًا تنوب عني-، أكثر أهل العلم يقولون: لا يجوز؛ لأن التوكل لا يكون إلا عبادة وقطعًا للذريعة. وبعض أهل يقولون إنه يجوز أن يقول: توكلت علىٰ الله ثم عليك، بشرط أن يكون قصده بالتوكل علىٰ المخلوق الاعتماد الظاهر، لكن الأولىٰ منع ذلك بالكلية؛ حتىٰ لا يقود ذلك إلىٰ التَّوَكُّل -الذي هو عبادة- بأن يُجعل لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولا شك أن قول الإنسان: توكلت علىٰ الله وعليك؛ أقبح من قوله: ما شاء الله وشئت، أقبح بكثير منها.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وأنا في حسب الله وحسبك

(الشرح)

الحسب هو الكفاية، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه، فعندما يقول: أنا في حسب الله وحسبك؛ يعني: أنا في كفاية الله وكفايتك، والحسب كله لله وحده، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ما قالوا: حسبنا الله ورسوله، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فإن قال قائل: قد قال الله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]؛ قلنا: لا إشكال في الآية، فإن معناها: حسبك الله وحسب من اتبعك من المُؤْمِنِيْنَ، الله حسبك وحسب من اتبعك من المُؤْمِنِيْنَ. فقول: حسبنا الله وفلان، وحسبنا الله والرسول؛ لا يجوز، بل هو من الشِّرْك، وهو أقبح

من قول العبد: ما شاء الله وشئت. يعني الرجل عندما قال للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما شاء الله وشئت) غضب وقال: «أجعلتني لله عدلًا؟»، قَالَ: «قد جعلت لله ندًا؟» فكيف لو سمع من يقول: أنا في حسب الله وحسبك يا رسول الله، لا شك أن الأمر أعظم وأدعىٰ لاشتداد الغضب.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وما لي إلا الله وأنت.

(الشرح)

وهذا يحدث ويحصل في كلام الناس اليوم كَثِيْرًا، بل بعضهم يقول: ما لي إلا أنت، وبعضهم يقول: ما لي إلا الله وأنت؛ ولا شك أن هذا أقبح من قول القائل: ما شاء الله وشئت.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وهذا من الله ومنك.

(الشرح)

فيسوي بين الله والمخلوق، ولا شك أن هذا أقبح، فالأمر كله لله ومن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وهذا من بركات الله وبركاتك.

(الشرح)

البركة كلها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

والله لي في السماء وأنت لي في الأرض.

(الشرح)

يقول: الله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ويقول بعضهم: الله في السماء وأنت في الأرض؛ بعضهم يأتي إلىٰ ملك أو يأتي إلىٰ سلطان أو يأتي يقول: الله في السماء وأنت في الأرض، وهذا لا شك

أنه منكر عظيم، فالأمر كله لله، والمخلوق عاجز، لا حول له ولا قوة إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهذه العبارات شركية أقبح من قول القائل: ما شاء الله وشئت، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قيل له: ما شاء الله وشئت غضب، فكيف لو سمع هذه العبارات.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وازن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم.

(الشرح)

هذا يقوله مَتَىٰ؟ في زمنه، وقد توفي سنة ٨٤٥ من الهجرة، وللأسف أن هذه الكلمات تشيع اليوم بين الناس كَثِيْرًا وهي قبيحة جدًّا، ومن الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وبين ما نهىٰ عنه من: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيّها أفحش؟؛ يتبيّن لك أن قائلها أولىٰ بالبعد من {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.

(الشرح)

نعم لا شك أنه أولىٰ بالبُعد من {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وبالجواب من النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقائل تلك الكلمة.

(الشرح)

أي أنه يستحق الجواب: «أجعلتني لله عدلًا؟»، «جعلت لله ندًّا!؟»، هو أولىٰ بهذا الجواب من ذاك القائل الذي قَالَ: ما شاء الله وشئت.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وأنه إذا كان قد جعل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندًا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندًا.

(الشرح)

ذاك قال للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما شاء الله وشئت)، فقال له النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعلت لله ندًا؟» أي جعل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله ندًا، وهؤلاء الذين يقولون هذه العبارات في حق الناس بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعلوا من لا يقترب من النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله ندًا، ولا شك أن هذا أقبح، ولا شك أنه أفحش، ولا شك أنه أعظم، ولا شك أن الحريص علىٰ توحيده يجتنب هذه الألفاظ الشركية اجتنابًا كليًا، ويغار علىٰ دين الله إذا سمع أحدًا يقول شيئًا من هذه الألفاظ، وينهىٰ عن ذلك، ويأمر بالتوحيد.

أعظم ما يغار عليه المؤمن هو توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب علىٰ الواحد منا أن يكون غيورًا علىٰ توحيد الله، وأن تشتد غيرته علىٰ توحيد الله، وأن يغضب إذا سمع أحدًا يقول عبارة من هذه الألفاظ الشركية، وأن ينهىٰ عن ذلك، وأن يحذر من ذلك.

وإذا كان هذا واجبًا علىٰ كل مسلم علم فإنه علىٰ طلاب العلم أوجب، وينبغي علىٰ طلاب العلم أن يشيعوا التوحيد عمومًا، وما يتعلق بهذه الألفاظ خصوصًا، وأن يحذروا من هٰذَا الشِّرْك، وأن ينشطوا في هذه الوسائل الحديثة، وسائل التواصل التي يُوصل بها إلىٰ الناس اليوم في بيوتهم في التحذير من هذه الألفاظ الشركية.

ثم الواجب علىٰ العلماء أعظم في كل بلد، الواجب عليهم أن يراجعوا، وأن يعودوا إلىٰ ما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان عليه الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، وأن يعتنوا بالتوحيد علىٰ الوجه الذي جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهمه سلف الأُمَّة، وأن يحذروا من ضده تحذيرًا عظيمًا. نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيننا جميعًا علىٰ القيام بالواجب.

نقف عند هذه النقطة، ونكمل إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الأسبوع القادم. تقبل الله من الجميع، والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا وسلم.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.